اللغة العربية بين الاستفادة من مزايا العولمة والحذر من التماهي فيها

الباحثة: دلال عودة
إشراف: د. بن فريحة الجيلالي
المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

ملخص:

نقلت اللغة العربية المجتمع العربي من مجتمع بسيط ساذج بدوي، إلى مجتمع غاية في الرقيّ الفكري والحضاري مذ أزمنة غابرة، فهي وعاء الأدب شعرا ونثرا، وحاملة آخر الرسالات السماوية، إضافة إلى كونها وسيلة التعارف وتبادل الحاجات بين العرب وغيرهم من الأمم، فقد كرس علماؤنا الأجلاء كلّ ما أوتوا من جهود للحفاظ على هذه اللغة المقدسة؛ ولعلّ أُولى جهودهم تمثلت في محاربة اللحن الّذي تسرب للألسن بدخول الأعاجم واعتناقهم الإسلام فوضعوا ضوابط ومعايير نحوية تلجم اللّسان من الزلل والخطأ، وكان لأبي الأسود الدؤلي، والخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، وابن جني وغيرهم الفضل للتنويه بمجهوداتهم وآثارهم الخالدة؛ حتى تتبوأ اللغة العربية مكانة مرموقة من خلال حبهم لها وكل ما تركوه لنا، ينضاف إلى ذلك قوة شخصيتهم وتمسُّكهم بدينهم، وعقيدتهم والمحافظة على أصالتهم وعراقتهم، وفي عصرنا الحاضر أصبحت العولمة هاجسا يتوجس منه كل محب للغة الضاد أن تتماهي ويشوبها ما لا يحمد عقباه، وهنا نطرح الإشكالات التالية: ماذا نقصد بالعولمة؟ وما مدى خطورتها على اللغة العربية بل والهوية العربية بصفة عامة؟ وهل الابتعاد والانغلاق أحسن أم الاحتكاك والاستفادة أفضل؟

الكلمات المفتاحية: العولمة، اللغة العربية، السلبيات، الإيجابيات، التاريخ، الصراعات، الحذر.

Résume :

Langue arabe a transformé la communauté arabe d'une simple communauté naïve, à la communauté même dans le progrès intellectuel et culturel a depuis des temps immémoriaux, Langue arabe se caractérise par la poésie esthétique caractéristique et la prose, et un autre transporteur de messages célestes, en plus d'être une connaissance et d'échange entre les besoins des pays arabes et autres, Nos scientifiques vénérables a consacré tous les efforts d'Ottawa pour préserver cette langue sacrée, peut-être le premier effort était de combattre la mélodie, l'infiltration dans la langue de l'entrée des non-Arabes et embrasser l'islam, Mettez des contrôles et syntaxique des normes restreindre la langue de glissement et d'erreurs, et il était noir pour mon Abou Asswde Deaali, et Khalil ibn Ahmad Faraaheedi et Sibawayh, et son fils prise et autres grâce à mentionner leurs connaissances et monuments intemporels, même occuper le prestige de la langue arabe par leur amour pour elle et tout ce qu'ils nous ont laissé, Même la langue arabe occupe une place de premier plan dans son amour et tout ce qu'ils nous ont laissé, plus ainsi de suite la force de leur caractère et leur adhésion à leur religion et leur foi et maintenir leur authenticité, Dans l'ère actuelle de la mondialisation est devenue tous les amoureux de la langue arabe qui craignent qui identifie et entachées par aucune des conséquences désastreuses, et voici poser les problèmes suivants: Qu'entendons-nous par la mondialisation? Et la gravité de la langue arabe? Est-il préférable de rester à l'écart, l'isolement ou la friction et bénéficier mieux?

Les mots clés :

Mondialisation, Langue Arabe, inconvénients, positifs, histoire, conflits, prudence.

مقدمة

يشهد العالم المعاصر تطورات جد رهيبة ومتسارعة؛ في عالم الاتصال والثورة المعلوماتية والتكنولوجية الحديثة الّتي اجتاحت العالم بأسره، وأحدثت بلبلة وضجة سيطرت على الأذهان والأفكار، فبالرغم مما وفرته من اقتصاد للجهد والوقت، وتسهيل وتيسير العمليات المعقدة، ناهيك عن تواصل الأشخاص فيما بينهم على بعد مسافات ووضع العالم بين يديك تتعرف على من تشاء ويصلك ما تشتهي وتريد بمجرد الضغط على زر أو أيقونة فقط.

هذا وغيره من الإيجابيات، إلاّ أنّه في الوقت ذاته انعكس كل ذلك على جميع مناحـــي الحياة سلبا؛ فأصبح يندر أن تجتمع العائلة جلسة حميمية تتوطد فيها العلاقات، ونابت الشبكة العنكبوتية وفضاءاتها الافتراضية عن الاسرة وكثر الاختلاط والاحتكاك، وشذّت

تاريخ التحكيم 15 ماي 2017
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العقول وشردت وباعدت وابتعدت القلوب، وفي المقابل تغافلوا عما يحاك لهم وهم في غمرتهم ساهون، ولعلَّ أخطر مجال طالته هذه الثورة المعلوماتية تحت مظلة العولمة هو المجال الثقافي واللغوي.

ذلك لأنَّ للغة بالنسبة لأي أمة كالرأس من الجسد؛ فهي تمثل نسيج وحدتها وصرح حضارتها كيف لا واللغة العربية هي لغة الرسالة الخاتمة، الَّتي تربعت على كرسي العرش وذروة الهرم، فكانت سمة من سمات الإعجاز، ومشعل العقائد الدينية، فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب فكانت الوعاء الأمثل لحمله، ومثلا فريدا وتنسيقا متميزا من الإعجاز اللغوي، ومن هنا يتضح لنا جليا أنَّ اللغة العربية تختلف عن سائر اللغات الأخرى؛ لما حباها الله به من خصائص وميزات لم ولن تحظ به لغة إنسانية أخرى في العالم.

فهي تعبر عن الثوابت الأساسية للأمة العربية والإسلامية؛ ورمز هويتها وأداة إبداعاتها الفنية، ومعلم من معالم النتاج الفكري والأدبي، كما أنَّها وسيلة من وسائل التواصل بين الأفراد، وهمزة وصل فعالة في بوتقة المجتمع، فبها يتحقق للأمة كيانها لتسير قدما نحو مصاف الدول المتقدمة، والوقوف بها على عتبات التاريخ شامخة كالطود الأشم قديما وحديثا، رغم كل هذه الميزات وغيرها إلاَّ أنَّها شهدت حملات عدائية، ودُبرت لها المكائد لتحريفها وتدمير الأمة الَّتي تنطق بلسانها، وعليه حري بنا أن نرجع للوراء لنستشفي ما واجته اللغة العربية من هجمات، ورغم كل ذلك ما زالت اللغة الَّتي لا نظير لها.

اللغة العربية:

هي لغة العرب في العصر الجاهلي، يستخدمونها في معاملاتهم اليومية وتعاملاتهم المختلفة، ثمَّ جاء الإسلام فعزَّز مكانتها أكثر، ذلك أنَّه نزل بها آخر الكتب السماوية، ودخل العرب والأعاجم الإسلام من كل فج عميق ليصبح عدد المسلمين يقدر بحوالي مليارين، فارتبطت هذه اللغة أشدَّ الارتباط بالدين الإسلامي

وبحسب الباحث "صالح بالعيد" «اللغة الرسمية الَّتي تنص عليها دساتير الوطن العربي، والرسمية في المحافل الدولية، واللغة الرابعة المرشحة للظهور بقوة في القرن الواحد والعشرين، تمتاز بخصائص مميزة، تظهر في البنيات الصَّوتية والصرفية والنحوية، ولها نظام كتابي متميز، وتراث غني لا مثيل له في أية من لغات البشر، وهي أقدم لغة على وجه الأرض، ولم تحدث قطيعة بين أصولها وحداثتها، يقرا بها تراثها دون مساعدة معجمية، كما أنَّ هذه اللغة لهجات متنوعة تختلف في بعض ألفاظها أداء ودلالة من قطر عربي لآخر، وتشكل الفصحى الوسيلة المثلى للتواصل.»[1]

فكما هو معلوم أنَّها لغة العرب منذ الجاهلية إلى اليوم، كتبت بها المعلقات، ونطق بها شعراء العرب وفحولها قديما؛ حينما كانت في أوج قوتها تقام لها أسواق أدبية، كسوق عكاظ) الَّذي يتبارى فيه الشعراء مما ثبت دعائمها ورسَّخ أنماطها وبناءها لدى أبنائها، فيتعلمونها عن فطرة وسجية، منذ صغرهم بحكم الاستعمال اليومي لها.

وعليه تعتبر اللغة العربية اللغة الوحيدة الَّتي لم تطرأ عليها تغيرات جذرية عبر أكثر من ألف وخمسمئة سنة فنجد العربي المتعلم يقرأ كتب التراث والمخطوطات القديمة على ما بها من اختلاف أشكال الخط لديها، ولعلَّ أبرز صفة في العربية هي (الإعراب) بمعنى: «أنَّ الكلمة من كلماتها تتبدل نهايتها بحسب وظيفة هذه الكلمة في التركيب أو الجملة هذه الظاهرة تسمى الإعراب وبالإعراب نعرف أحوال الكلمات من حيث البناء والإعراب ومن حيث ما يعرض لها من حال تركيبها.»[2]

لم يلحق العربية الوهن والضعف إلاَّ في عصور الضعف والانحطاط؛ نتيجة ركود الحضارة العربية الإسلامية بعامة ويمتد في بعض صورها إلى اليوم، بيد أنَّنا نلحظ في العصر الحاضر نوعا من الاهتمام بها، بدأ يعود بوضع مؤسسات ومراكز بحث وملتقيات تهدف لتطويرها، وجعلها مواكبة للعصر، لكن هذا الاهتمام لا يزال حبيس قاعات البحث والتدريس وتوصيات الملتقيات والمؤتمرات وأدراج الكاتب دون أن يخرج ميدانيا للواقع بالاستعمال.

وبديهي أنَّ أي لغة في طبيعتها، تبحث عن الاستمرارية والرعاية الدائمة لها والمتابعة المستمرة، وتحتاج إلى توجيه في نموها وتطورها لتوافق زمنها الَّذي ينسجم مع أصلها وتتكيف مع واقعها الحاضر؛ فتعبر عنه بما يحمله من مستجدات علمية وثقافية واقتصادية وسياسية واجتماعية بصورة دقيقة وصادقة، وتتجلى حيوية اللغة العربية في القدرة على الاستيعاب والعطاء، بعد هذه الوقفات نتحول لنسرد تاريخ المكائد والصراعات الَّتي حيكت للغة العربية ورغم كل ذلك ما زالت صامدة.

تاريخ التحكيم 15 ماي 2017
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللغة العربية وتاريخ الصراعات:

شهدت اللغة العربية منذ القدم صراعات عنيفة بينها وبين مختلف اللغات؛ يتبلور ذلك في الاستدمار الَّذي حاول طمس معالمها ومحو الشَّخصية العربية، ابتداء بلغتها لعلمه أنَّها مكمن الخطر، وأفضل السبل لتشكيل الوحدة بين أبناء العروبة، ولذلك سخَّر العدو كل الإمكانيات اللازمة لفصل العرب عن لغتهم، وإلباسهم ثياب لغة غير لغتهم لتصبح الأداة الوحيدة للتعامل والتواصل، من خلال فرض لغتهم الأجنبية على أبناء الوطن المستعمَر، ومنع اللغة الأصل من أن تُدرَّس بل واتخاذ إجراءات ردعية صارمة، وسياسات جبرية وعقابية على المعارضين.

فألفينا الاستدمار الفرنسي يحاول استبدال اللغة العربية باللغة الفرنسية، وذلك في بلاد المغرب العربي واستبدالها باللغة الإنجليزية في المشرق العربي، أمَّا الحال اليوم فقد تخلى الاستدمار عن زيه العسكري المكشوف إلى شكل وقالب مغاير تماما، ليوفر على نفسه تلك المشاق المتمثلة في: تجهيز الجيوش والتصدي للثورات إلى اختراق الأمم والشعوب، والنفاذ إلى أعماقها عن طريق الاستلاب الفكري، والغزو الثقافي باسم التكنولوجيا الحديثة وعلوم الاتصال، والثورة المعلوماتية، والَّتي اصطلح عليها اليوم بمصطلح العولمة [3]

فاللغة العربية في العصر الحاضر تواجه أخطارا كثيرة؛ لعلَّها لم تواجه مثلها من قبل، فقد تعرضت إلى هجمة شرسة من قبل جهات كثيرة تستهدف هوية الأمة في إطار الاستعمار الجديد للعالم؛ سعيا نحو أمية لغوية عامة للعالم الإسلامي تعزل المجتمع عن تراثه الاسلامي الأصيل.

ويتمثل ذلك في القرارات الَّتي تصدر من الجهات الرسمية، والأدهى والأمر أن يوضع أبناء الوطن وفلذات الأكباد في محفل التجارب وفق ما يسمى بمواكبة العصر والسير مع التيار، حتى وإن كان على حساب العادات والمعتقدات وأصبح لدعاة محبة اللغة وتيسير استخدامها وتداولها يفرضون اقتراحات غير مدروسة يجهلون عاقبتها كالتدريس باللهجة العامية، وإدخال مناهج ومقررات جديدة لا تمت لمناهج التعليم الإسلامية بصلة، سوى أنَّها تدخل في إطار ما يسمى بالعولمة.

ولعلَّ العولمة من أبرز الأخطار والتحديات الَّتي تواجه اللغة العربية، بل والأمة العربية ككل وتضربها في صميم هويتها وعاداتها ومعتقداتها؛ ذلك لأنَّ التدفق السريع للغة الأقوى والَّتي تملك مقومات القوة والهيمنة والسيطرة على اللغات الأخرى، باعتبار أنَّها فرضت وجودها وحضارتها الَّتي غلبت غيرها من الحضارات في عصرنا الحديث، فأصبح ما يعرف باللغة الإنجليزية لغة عالمية، لسنا ندعوا لمقاطعة اللغات وعدم تعلُّمها واستخدامها للضرورة والاستفادة من أهلها وبالأخص ما يهم الانسان من جوانب علمية واقتصادية وثقافية...وإنما نحن ضدَّ التداخل واختلاط الالسن الَّذي أصبح أخطر من اللحن الَّذي تصدى له علماؤنا قديما، من هنا نستفسر حول العولمة؛ ماذا نقصد بها؟ كيف ومن أين جاءت أي خلفياتها ومخلفاتها؟

العولمة الماهية والتعريف:

اختلف الدارسون في تحديد ماهية العولمة، ومردُّ ذلك إلى زئبقية المصطلح، وتغلغله في جميع مناحي الحياة مما أفرز عولمات وليس عولمة واحدة، فهناك العولمة الاقتصادية، والعولمة السياسية، والعولمة الثقافية والعولمة اللغوية وهلمَّ جرا.

وإذا نظرنا إلى معاجم اللغة العربية كلسان العرب لابن منظور، والصحاح في اللغة للجوهري، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، ومقاييس اللغة لابن فارس وغيرها، نجد أن كلمة عولمة ليست مُعرَّفة فيها؛ أي لم نجد لهذا اللفظ مرادفاته أو استعمالاته السياقية، وعليه جذورها-العولمة-من الجذور الجديدة المستحدثة، وهنا كان لابدَّ أن يتدخل مجمع اللغة العربية بالقاهرة الَّذي قرَّر إجازة استعمال (العولمة) بمعنى جعل الشيء عالميا[4]

وفي هذا المقام اتفق أغلب المهتمين بقضية العولمة على أنَّ الكلمة جديدة، بل يرى بعضهم أنَّ السير نحوها بدأ منذ مئات السنين، وقد أصبح هذا المصطلح متداولا مع بداية التسعينات، ابتداء بتدمير جدار برلين سنة 1989م وسقوط الاتحاد السوفياتي وتفككه، وانتهت بتغلب النظام الرأسمالي الغربي على النظام الشيوعي، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم المعاصر، ولعلَّ هذا يدخل فيما يسمى بخلفياتها الَّتي تبرر ظهورها.

فاجتهد الباحثون وقدموا عدَّة تعاريف للعولمة نذكر منها: يقول الفيلسوف الفرنسي "روجيه جارودي": هي «نظام يُمكِّن الأقوياء من فرض الدكتاتورية اللاَّ إنسانية الَّتي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق.»[3] يحذر "روجيه" من العولمة الَّتي

تاريخ التحكيم 15 ماي 2017
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعتبرها نظام مؤسس له غايات وأهداف، لعلَّ من بين الغيات الَّتي تروم العولمة تحقيقها التحكم في السوق الاقتصادية، عن طريق ما يسمى بحرية السوق والمنافسة، أو ما يعرف بالرأسمالية الَّتي لا تترك مجالا للمستضعفين سوى الرضوخ لمطالبها وفق ما يخدم مصالحها.

وهناك من يرى أنَّ العولمة هي إزالة الفواصل بين أقطار العالم، لتصير الكرة الأرضية كلها قرية عالمية، وفي تعريف آخر: العولمة سماوات مفتوحة ومحيطات مفتوحة، ولا وجود للحواجز الجمركية، والعلم بلا وطن، ورأس المال كذلك وزيادة في حرية العمال، ورؤوس الأموال عبر العالم بأسره مما يؤدي في النهاية إلى تحول العالم إلى قرية كونية[5]

بين هذا وذاك يظهر تضارب بين ما تحمله العولمة من محاسن ومساوئ، أو من فوائد وخسائر، أو بالأحرى من سلبيات وإيجابيات، فما يراه "روجيه جارودي" غير ما يراه البقية، حيث ينطلق هو من مقومات الأمة الاقتصادية والاكتفاء الذاتي، الَّذي ينعكس سلبا أو اجابا على بقية المجالات، ينطلق البقية من مجالات أخرى لعلها علمية وسياحية تخدم العالم ككل، وهنا يحضرنا سؤال ذا بال عن جذور العولمة وتطورها، وعليه يتوجب علينا الرجوع إلى نشأتها للإحاطة بها فهما واستيعابا.

نشأة العولمة:

تاريخ ظاهرة العولمة تاريخ قديم وليس وليد العصر الحاضر؛ فالطبيعة الإنسانية تميل إلى التحرك من مكانها والاتساع في محيطاتها شيئا فشيئا، وقد برزت هذه الظاهرة منذ أمد بعيد، فقد بسطت بعض الامبراطوريات القديمة سيطرتها على العالم من ذلك: الإمبراطوريتان الفارسية والرومانية في فترة ما قبل الإسلام.

كما نشرت الثقافة العربية الهوية الإسلامية هيمنتها على العالم قرونا طويلة، وتطور الأمر في حدود القرن السابع عشر مع بداية الاستعمار الغربي لآسيا وإفريقيا، وزاد ذلك مع ظهور الصناعة وتطور الإنتاج، ثمَّ وصل الأمر ذروته بعد ذلك عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، وزوال دول أوربا الشرقية وانفراد الولايات المتحدة بالقيادة والريادة.

وما فتئت الثقافة الأمريكية تجتاح الدول المعاصرة؛ مستفيدة من انتشار استخدام التكنولوجيا وتطور الاتصال وظهور منظمة التجارة العالمية، والتحول للاقتصاد الخاص (الخصخصة)، فتنافست ثقافتان تريدان فرض سيطرتهما على العالم، الأولى الثقافة الأنجلو أمريكية (الأنجلوفونية) الَّتي تحاول نشر نمط الحياة الأمريكية في جميع دول العالم؛ من خلال البرامج والأفلام والمسلسلات الأمريكية، والثانية: الثقافة الفرنسية (الفرانكفونية) الَّتي تقاوم هذه النزعة تجاه الهيمنة الأمريكية.[6] من هذا توضحت خيوط وبدايات التخطيط لقيادة العالم، وفرض ما يسمى بالعولمة وما يهمنا في هذا المقام العولمة اللغوية وعائداتها السلبية والإيجابية على اللغة العربية، والهوية العربية والإسلامية بصفة عامة.

العولمة اللغوية:

نتيجة الانفتاح العالمي بين الدول؛ اندثرت لغات وتقاربت لهجات، وطغت بعض اللغات القوية صاحبة القوة السياسية والثقافية والاقتصادية على لغات أخرى ضعيفة وحلت محلها، وقد أشار بعض الدارسين إلى أنَّه منذ بداية القرن العشرين كان هناك ما يزيد عن خمس عشرة ألف لغة حية على وجه الأرض، وقد تقلصت هذه اللغات بالتدريج إلى أن وصلت إلى ما يقارب خمسمائة لغة، ثلاثمائة منها وضع في قائمة الخطر، والمتوقع أن تستخدم البشرية في نهاية القرن العشرين اثني عشرة لغة فقط[7]

كما أشار الباحثون والمختصون في هذا المقام على أنَّ العولمة اللغوية هي سرعة تدفق اللغة الأقوى، الَّتي تملك مقومات القوى المهيمنة والسيطرة على اللغات الأخرى؛ لكي تحقق الامتزاج الَّذي تهدف إليه، وتعني أيضا تجاوز اللغة مجالها الإقليمي والمحلي إلى بلدان أخرى، ومناطق بعيدة جغرافيا، بحيث يتحدث بها أفراد ومجتمعات خارج نطاقها وقد أدَّى هذا إلى تواصل أبناء هذه المجتمعات بلغات أخرى غير لغتهم الأصلية الَّتي تعبر عن ثقافتهم وأرضهم ودينهم، ومن ثمَّ اختلفت هوية المجتمعات اللغوية[8]

موقع اللغة العربية في عصر العولمة:

لسنا نزعم أنَّ لغتنا شابها الكثير من التغيير والتحريف والتزييف مع دخول الكثير من المصطلحات الدخيلة الَّتي فرضتها التغيرات والتطورات، ناهيك عن التَّحول والتَّبدل واندثار ألفاظ وحلول ألفاظ أخرى مكانها، ولسنا نزعم أيضا أنَّ سبب هذا هو العولمة، وإنَّما سنة الله الَّتي لا تحول ولا تزول على جميع خلقه، إنَّما اختلاط الألسن بسبب التفتح على العالم، وما توفره من تسهيلات في الاتصال والتواصل بين الأشخاص، يفرض لا محال التأثير والتأثر.

تاريخ التحكيم 15 ماي 2017
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومعلوم أنَّ المغلوب مولع بتقليد الغالب، فقد أصبح يصعب على أبناء اللغة التواصل مع بعض باللغة العربية الفصحى، بل والأدهى والأمر حتى في منابر العلم والمؤسسات التربوية أصبح من يحسن استعمال اللغة العربية ويسترسل في حديثه أخذا وردا يصنف من النوابغ، بعد أن طغى اللسان العامي أو اللسان الَّذي يخلط بين مختلف اللغات ولا يهمه في الأمر سوى أنَّ يفهمه المتلقي، ناسيا أو متناسيا أنَّ عواقب هذا قد تتطور حتى يصبح جاهلا أو يصعب عليه فهم كتابه وسنته وعقيدته.

ليس هناك أدنى شك لدى القاصي والداني، بأنَّ اللغة العربية لم تكن يوما من الأيام عاجزة عن مسايرة الحضارات ومواكبة التطورات، ولعلَّ لغة استطاعت حمل كتاب الله وأحكامه، وكانت وعاء يتسع لآي الذكر الحكيم لن تعجزها أسماء مخترعات بشرية تتسم بمحدودية العلم، ونسبية المعرفة، من هنا بات لزاما على الانسان العربي أن يراجع حساباته، ويعود ويستقرئ لغته من جديد، وينقب عن مكوناتها ويغوص في أبعادها ليستخرج كنوزها ودررها حتَّى يتسنى له الوقوف في وجه الفيضان الجارف للعولمة [9]

راهن اللغة العربية وواقعها:

لو حاولنا أن نتلمس الأثار الَّتي تركتها العولمة على اللغة العربية لدهشنا؛ إذ وجدنا الانتشار الرهيب للكثير من الكلمات الأجنبية، ونفور أبنائها من تعلّمها وانبهارهم بالغرب وبكل وافد من هناك، وقد نتج عن كل هذا وغيره شيوع الكثير من الظواهر الغريبة في المجتمعات العربية والإسلامية، الَّتي تظهر في كلامهم وتصرفاتهم وألبستهم.... وهذا ما سيكون له الأثر السيء على الأمة العربية ولغتها في المستقبل.

فقد باتت تحاك ضد اللغة العربية المكائد للإطاحة بها ورمي أهلها بالتَّخلف، والتَّحجر، حتَّى ينسلخ أبناؤها عنها وتطمس بذلك هويتهم ومعتقداتهم، وتمحى من على خارطة العالم قيمهم وفضائلهم، ومن ثَمَّ فإنَّ المسؤولية الملقاة على أعتاقنا تتضاعف يوما بعد يوم، لأنَّ أعداءنا يتربصون بنا الدوائر، ويكيلون لنا الكيل أكيالا.

ومن هنا فنحن جميعا مدعوون إلى العودة إلى تراثنا، واستنطاقه والغوص في أعماقه، وسبر أغواره من أجل معرفة لغتنا معرفة تليق بمقامها والوقوف عند جماليتها، ومكامن الإبداع فيها ومواطن الإعجاز في هذه اللغة الَّتي شرفها المولى سبحانه لحمل الرسالة الخالدة.

ونحن لسنا متوجسين خيفة على مصير اللغة العربية من شبح العولمة، وسيطرة لغات أخرى، وعلى رأسها اللغة الإنجليزية، بقدر ما نحن متوجسين خيفة على أبنائها المنبهرين ببريقها الَّذي أعمى بصرهم وبصيرتهم، لأنَّ اللغة العربية محفوظة من الله جلَّ في علاه فهو من تعهد بحفظها وصيانتها، لذلك كتب لها الخلود وحماها من كل ما يدبر أو يحاك لها، ودليل ذلك قوله جلَّ في علاه في محكم تنزيله:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ ﴾ الحجر[الآية: 09]

ثمَّ إنَّ اللغة العربية تملك من الثراء اللغوي، والكفاءة التعبيرية ما يجعلها قادرة على الوقوف في وجه العولمة ودعواتها، وبات من المؤكد أن الخوف كل الخوف على أبنائها العاقين الَّذين تنكروا لثوابت أمتهم واحتقروا كل ما هو عربي أصيل، خصوصا منهم من كان لهم الحظ بمعايشة الأجانب، فأصبحوا منبهرين أشد الانبهار، وأصبحوا يعيبون ويجدون النقص والخلل لكل شيء يمت بصلة للعربية وأهلها، فجاؤوا بتوصيات لا توافق لا اللغة ولا الدين وأشاعوها ونشروها في كتبهم وبين أفراد هذه الأمة، بل وزينوا كل مستورد واحتقروا كل أصيل وموروث، بزعمهم تبني الحداثة والتجديد، ثمَّ إنَّ التَّجديد الحقيقي لا ينبع من تقليد الآخر، والسير على إثره، والتشبث بتلابيبه والمجاهرة والمفاخرة بكل الاعتقادات الزائفة والمشوهة للآخر.[10]

وإنَّ الدَّعوة إلى الأصالة هي دعوة إلى الانتماء القومي والقومية هي الحضارة، بقدر ما نسهم في فهم الحضارة وبنائها نسهم في بناء الشخصية القومية، وتتجه الدَّعوة نحو التراث الحضاري الَّذي صنعته الأجيال عبر التاريخ، وليس من تعارض بين الانتماء القومي والانفتاح على أن يبقى التوازن بينهما قائما دون أن نتطرف بالانتماء فنقع في الانغلاق أو نتوسع في الانفتاح فنهدر شخصيتنا وحرياتنا [11]

أثار العولمة على اللغة العربية:

يحدث بين اللغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية والجماعات، من احتكاك وصراع على البقاء والسعي وراء الغلبة والسيطرة، سواء بين اللغات المستقلة أو بين لهجات اللغة الواحدة، ومن أهمّ عوامل الصراع اللغوي إلى جانب العولمة نزوح عناصر أجنبية إلى البلد إثر فتح أو استعمار أو هجرة، فلا تقوى الواحدة منها القضاء على الأخرى فيعيشان جنبا إلى جنب، مما يولد ما يسمى بالاقتراض

تاريخ التحكيم 15 ماي 2017
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللغوي، حيث يقترض لفظا أجنبيا ويستعمله الأفراد في كلامهم أو كتاباتهم، وذلك عن طريق تشكيل اللفظ حتى يصبح على نسيج لغته أو قريب الشبه بألفاظها سواء من ناحية الأصوات أو من ناحية الصيغ.

ويساعد مثل هذه الصيغ على شيوع اللّفظ الأجنبي بين أفراد البيئة لسهولة تناوله والنطق به، ولذا كانت الكثرة الغالبة من الألفاظ المستعارة في كل اللغات تتخذ شكلا مألوفا في اللغة المستعيرة[12]، والانتشار الرهيب لبعض الكلمات الأجنبية، فضلا عن انتشار الأسماء الأجنبية على واجهات المحلات التجارية، وظهور الازدواجية اللغوية في المجتمع لا في التعليم فحسب، والمواجهة بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية في ضوء العولمة يعني المواجهة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية[13].

لكن هذا لا يعني أنَّ العولمة كلها شر على اللغة العربية، فقد حملت في طياتها فرصا ومزايا إيجابية فالتعامل مع الوسائل التقنية الحديثة، وكذلك النَّهضة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتعلم لغات أجنبية، وبخاصة اللغة الإنجليزية قد أفاد العرب إفادات كثيرة، ومن المكتسبات الَّتي اكتسبتها اللغة العربية في عصر العولمة نذكر منها:[14]

1- التَّرجمة: كان لانتشار الفكر اليوناني سبب في انتشار حركة التَّرجمة، فقد شجعها هشام بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، وأبو جعفر المنصور، ثمَّ تأكد التشجيع فيمن تلاهم من خلفاء بني العباس وخاصة الرشيد والمأمون، وفي العصور المتأخرة بدأت بواكر التَّرجمة الحديثة مع بداية حكم محمد علي لمصر، حيث أسس قلم التَّرجمة سنة 1841م كما فرض ترجمة الكتب على المدرسين وتلاميذ البعثات.

وعليه للترجمة أهمية بالغة في التواصل الحضاري بين الأمم، حيث جمعت بين الآداب ومختلف العلوم في سياق الاحتكاك والتأثير والتأثر، وفتحت الأبواب للأخذ والعطاء والتبادل بين مختلف الشعوب، واليوم تشهد الترجمة تطورا ملحوظا تعبِّر من خلاله عن دورها الريادي في تعميق أواصر التواصل خصوصا في ظل ما يشهده العالم من تطور تكنولوجي الَّذي جعل العالم قرية صغيرة.

فهي الوسيلة الوحيدة لتبادل ما عند الأمم من أفكار ومعارف وآراء في شتى الحقول الفكرية: أدب، طب هندسة، فن، فلسفة... ولعل أحسن دليل على ما للترجمة من فائدة؛ حركة التعريب الَّتي حدثت أيام الدولة العباسية إذ نقل علماؤها عن اللغات اليونانية، والفارسية، والهندية، والسريانية فاستطاعوا عن طريق التَّرجمة معرفة معلومات وعلوم كثيرة لم تكن معروفة بعد عند العرب، وما زاد من أهميتها عناية الخلفاء العباسيين بها وعلى رأسهم "المأمون" وذلك بتشجيعه للمترجمين عندما كان يمنح المترجم وزن الكتاب ذهبا، ونفس الشيء في زماننا من تبادل معارف بين مختلف اللغات بوسطة الترجمة؛ وعليه فالترجمة إذا ماهي إلاَّ تمازج أفكار وتلاقي عبقريات وتبادل معارف.[15]

فكان للعولمة دور كبير على حركة التَّرجمة من العربية وإليها، فمن خلال التَّرجمة عرف الغرب كتبا عربية وكُتَّابا عربا، ومن ذلك (المقدمة) "لابن خلدون" و(كليلة ودمنة) "لابن المقفع"، وغيرها من الأعمال المؤثرة الرائعة لكثير من المفكرين والعلماء العرب؛ كابن سينا والفارابي وابن رشد، وجابر بن حيان... وغيرهم، ومن خلال الترجمة عرف العرب "أرسطو" و"أفلاطون" و"سقراط" و"شكسبير" كما عرفوا شعراء التروبادور وعرفوا الكوميديا والتراجيديا...

2- دخول اللغة العربية لغة رسمية في منظمة الأمم المتحدة: من حسنات العولمة وميزاتها أن صارت اللغة العربية لغة أساسية في المحافل الدولية، فاعترفت بعالميتها رسميا في هيئة الأمم المتحدة، وصار يلقى الخطابات بها وينقل عنها اجتماعات وحوارات مثلها مثل اللغات العالمية الكبرى؛ كالإنجليزية والفرنسية والاسبانية والروسية والصينية.

3- تأكيد استعمال العربية الفصحى في بعض وسائل الإعلام: لقد كان لفضاءات الإعلام مزية على اللغة العربية الفصحى؛ فهناك قنوات كثيرة لا تبث برامجها ونشراتها وتقاريرها إلاَّ بالعربية الفصحى، ومن ثمَّ تضاعفت فرصة أبناء العربية سماع اللغة الفصحى واستيعابها وفهمها عبر هذه القنوات، كما أتاحت الفرصة للناطقين بغير العربية فرصة التعرف على اللغة العربية وثقافاتها.

4- الشبكة العنكبوتية: هناك مواقع الكترونية كثيرة باللغة العربية في جوانب مختلفة اجتماعية، وسياسية، واقتصادية وثقافية، وتربوية ومواقع لتعليم العربية لأهلها ولغير الناطقين بها.

5- زيادة الرَّغبة على تعلم اللغة العربية: ساعدت أمور كثيرة على زيادة إقبال الغرب بشكل خاص على تعلم العربية ومنها: حادثة 11 سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية، وانهيار برج التجارة العالمي، وارتباط المسلمين بالإرهاب وشن الحرب على بعض البلدان وقواعدها... هذا عن إيجابيات العولمة أمَّا سلبياتها نذكر منها ما يلي: [16]

تاريخ التحكيم 15 ماي 2017
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- انتشار التعليم باللغات الأجنبية: طغيان اللغة الإنجليزية على حساب اللغة العربية، فأضحى تعليم اللغة الأجنبية فريضة وضرورة في المدارس والجامعات منذ سن مبكرة.

- اقصاء اللغة العربية في الكثير من المدارس والجامعات والمحافل الدولية: واصطنع أعداؤها فكرة مفادها أنَّ اللغة العربية لغة أدب ودين وليس لغة علوم وتقنية.

- الثنائية اللغوية: في تدريس اللغة العربية مع لغة أجنبية أخرى...

- نشر الأبحاث العلمية بالإنجليزية: إنَّ الاعتراف بالأبحاث العلمية بات يتطلب أن تنشر بالإنجليزية لتعترف الجامعات العالمية والعربية بها، وإلاَّ لن تلقى القبول مهما كان مستواها العلمي، لأنَّ المجلات العربية غير مسجلة في فهارس المؤسسات العلمية، وهذا ما يؤدي إلى ترسيخ فكرة عدم صلاحية العربية للعلوم الحديثة.

- اقصاء الفصحى عن وسائل الاعلام: بالرغم من الأثر الإيجابي إلا أنَّ وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية قد تشكل خطرا على العربية الفصحى؛ نتيجة زحف اللَّهجات العامية في الفضائيات الَّتي انتشرت فيها العاميات وتلك مسألة ينبغي التصدي لها والقضاء عليها.

- استخدام ما يطلق عليه بالدَّردشة أو العربيزية: الدَّردشة أو الشات هذه المصطلحات الخاصة بالتواصل بين الأفراد عبر الشبكة العنكبوتية، حيث تمثل الحوارات فيها بألفاظ ومصطلحات خاصة، تختلط فيها الأجنبية باللغة العربية ويكثر استعمالها في الأوساط الشعبية، والأماكن العامة يسميها البعض (العربيزية) وهي: بين العربية والإنجليزية تنطق عربية بحروف إنجليزية وباستخدام بعض حروفها أرقاما، وهي منتشرة بين فئة الشباب، لأنَّها اللغة الأسهل حيث الكتابة باللغة السليمة أصعب على حدِّ قولهم، لذلك يفضلها المراهقون للتواصل في المحادثة أو الرسائل القصيرة من ناحية، ومن ناحية يحتجون بأنَّ من لم يتكلم ويكتب بهذه اللغة يعد متخلفا بين أصدقائه، وكأنَّ الكتابة بالفصحى ضرب من التخلف؟

- انتشار الألفاظ الأجنبية: الاحتكاك والتداخل بين اللغات، نتيجة حتمية للاحتكاك بين المجتمعات، فانتشرت بعض الكلمات الأجنبية انتشارا رهيبا، فضلا عن انتشار الأسماء الأجنبية على واجهات المحلات التجارية، وظهور الازدواجية اللغوية في المجتمع لا في التعليم فحسب.

- تشجيع الدَّعوة إلى العاميات: إذا حلت لهجات عامية محلها، وأخذت مكانها في ألسن الناطقين العرب، نتج عن ذلك نشوء مجموعة من اللَّهجات المحلية الَّتي تختلف من بلد لآخر داخل القطر الواحد وهذه الدَّعوة هي الأخطر.

- تهميش اللغة العربية في التوظيف وسوق العمل: وذلك من خلال جعل اللغة الإنجليزية شرط رئيسي للحصول على وظيفة، وصارت الأفضلية في التوظيف لمن يحصل على دكتوراه من جامعة أوربية أو أمريكية، وصار يتقاض راتبا أعلى من نظيره الحاصل على دكتوراه من جامعة عربية أو شرق أوسطية.

- تكريس الانقسام: الانقسام على أساس اللغة واللَّهجات، وهذا مراد العدو ومبتغاه، فقد انقسمت بلدان أجنبية بناء على اللغة؛ ففي كندا بعد الاعتراف بالفرنسية لغة رسمية إلى جانب الإنجليزية أخذ أبناء الفرنسية يطالبون بالاستقلال في مناطقهم، وفي الهند صراع بين الشمال والجنوب بناء على اللغة، ففي الشمال يتكلمون الهندوسية وفي الجنوب يتكلمون الإنجليزية لأنَّ معظمهم تنصر بعد الاستعمار، وفي الجزائر صراع بين البربر والعرب ومطالبة البربر بالانفصال وفي العراق صراع بين الأكراد والعرب، وهكذا تعمل قوى الاستعمار والعولمة على تشجيع الانقسام ودعم الحركات الانفصالية في الوطن العربي وغيره حتَّى تسهل عليها السيطرة عليهم.[17]

الوسائل الناجعة لمواجهة سلبيات العولمة:

إنَّ الوقوف في وجه العولمة عامة، والعولمة اللغوية خاصة، لا يتأتى إلاَّ عن طريق عروبة شاملة، ومؤسسة على أسس علمية سليمة تأخذ على عاتقها صيانة اللغة العربية من العامي والدَّخيل، وكذا تكرسها في المعاملات والممارسات الحياتية اليومية، ومن هنا تبرز عدَّة وسائل للحفاظ على اللغة العربية والسَّير بها قدما نذكر أهمَّها فيما يلي: [18]

- إصلاح المنظومة التربوية؛ عن طريق تعميم استعمال اللغة العربية في جميع المستويات.

- الوقوف ضدَّ دعاة استبدال اللسان العربي الفصيح باللسان العامي.

- العمل على تطوير المناهج والبرامج وخلق مناهج قادرة على مواكبة العصر.

تاريخ التحكيم 15 ماي 2017
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- التركيز على وسائل الاعلام والاتصال ودعوتهم إلى تقديم حصص بلسان فصيح واقصاء اللسان العامي.
- التقليل من البرامج الناطقة بلغات أخرى.
- دعوة المجامع اللغوية إلى الزيادة في بذل الجهود من أجل إيجاد مصطلحات علمية وتكنولوجية للمخترعات الحديثة، وذلك بالرجوع إلى ما تمتاز به اللغة العربية من سمات، كالاشتقاق والترادف والمشترك اللفظي.
- العمل على استحداث معاجم علمية وتقنية ومتخصصة والمساعدة على تذليل الصعوبات والحدّ من العقبات الّتي تقف حاجزا أمام الباحثين العلميين والتقنيين.
- إنشاء مراكز تعلم اللغة العربية لأهلها ولغير الناطقين بها داخل وخارج الوطن.
- اعداد برامج وأفلام ومسلسلات باللغة العربية الفصحى لتواكب التطور الفكري والثقافي وتنافس نظيرتها الأجنبية.
- العودة الى التربية اللغوية السليمة في البيت والمدرسة ووسائل الاعلام، وتحصين الأفراد ضدَّ ما يستقبلونه أو يتلقونه في الفضائيات وغيرها.

الخاتمة:

بعد هذه الوقفات الّتي انطوت عليها وريقاتنا البحثية، وإن بدا فيها عرض رأيين متناقضين وتعارض، ومحاولة مناقشة أمر كثر فيه الجدال وتضاربت فيه الآراء، وأسال الكثير من الحبر وما زال لحد الساعة حديث الساعة؛ لأنَّه باختصار من القضايا المستجدة والمعاصرة، ليست قضية سرقات أو انتحال أو قضية أولوية اللفظ على المعنى أو العكس إنَّما هي قضية لغة ومقومات أمة بأكملها، قضية أشبه ما يكون بكن أو لا تكون.

وفيما نرى في هذا المقام أنّه يجب تفعيل دور الإنسان العربي؛ لأنَّ اللغة بأهلها والناطقين بها تنهض وتفرض وجودها وقوتها، ولا يمكن تحميل اللغة ضعفنا وأمارات تخلفنا، وسمات تقاعسنا، وجعلها مشجبا نعلق عليه هزائمنا وعقدنا الكثيرة.

ثمَّ قد تبيَّن ما للعولمة من محاسن لكل لبيب ومتفطن، وعلينا انتهاز فرصة هذا الانفتاح لنشرها ونشر تعاليم الدين الّذي كانت ومازالت اللغة العربية خير وعاء وحامل له، وإنَّما يبقى العيب كل العيب في أبناء اللغة وضعف شخصيتهم وتقليدهم الأعمى لكل شارد وارد من الغرب، في الوقت الّذي يفترض أن يحملوا اللغة العربية على أعناقهم حمل الأمانة والرسالة، واستعمالها والتعامل بها في كل مناحي الحياة، حتى يتربى النشأ عليها تربية لغوية صحيحة وصحية.

الهوامش

1)- صالح بالعيد، اللغة العربية في مجتمع المعرفة، الطريق إلى مجتمع المعرفة وأهمية نشرها باللغة العربية (ضمن أعمال المجلس الأعلى للغة العربية 2009م، **http://www.usla.dz/mjls/index.php**

2)- بركات يوسف عبود، شرح قطر الندى وبل الصدى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001م، ص5.

ينظر: عمر بن طرية، اللغة العربية وتحديات العولمة، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2008م ص 6.

3)- ينظر: حامد أشرف همداني، اللغة العربية وتحديات العولمة، جامعة بنجاب، لاهور، (د ت)، (د ط)، ص 7.

4)- جارودي روجيه، العولمة المزعومة - الواقع-الجذور- البدائل- تر: محمد السبيطلي، دار الشوكاني للنشر والتوزيع صنعاء، اليمن 1998م، ص 17.

5)- ينظر: المرجع نفسه، ص 12-13.

6)- ينظر: أريج بنت إبراهيم الأنصاري، دور مؤسسات التربية الإسلامية في العولمة اللّغوية، مذكرة ماجستير 1428هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص8.

7)- ينظر، عمر بن طرية، اللّغة العربية وتحديات العولمة، ص 2.

8)- حامد أشرف همداني، اللّغة العربية وتحديات العولمة، ص 6.

9)- ينظر: عمر بن طرية، اللغة العربية وتحديات العولمة، ص 6.

10)- ينظر: المرجع نفسه، ص 4-5.

11)- ينظر: عفيف البهنسي، الهوية الثقافية بين العالمية والعولمة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009م، ص 47.

12)- ينظر: قدور نبيلة، التداخل اللّغوي بين العربية والفرنسية وأثره في تعليمية اللّغة الفرنسية في قسم اللّغة العربية وآدابها، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م، ص 23-24.

تاريخ التحكيم 15 ماي 2017
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

13)- ينظر: حامد أشرف همداني، اللّغة العربية وتحديات العولمة، ص 6.

14)- ينظر: المرجع نفسه، ص 14-15.

15)-ينظر: جان الدّيك، دليل الطالب في الترجمة، مكتبة حبيب، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1984م، ص 06.

16)- ينظر: حامد أشرف همداني، اللّغة العربية وتحديات العولمة، ص 16-17

17)-ينظر: المرجع نفسه، ص 26-27

18)- ينظر: عمر بن طرية، اللّغة العربية وتحديات العولمة، ص7-8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com